المبدأ 48

لا تلحق بالبومة..
حتى لا تأخذك إلى حيث تسكن...

المغزى:

لعل أبرز مؤشر في الوصول إلى الخراب حيث تعيش البومة هو استعدادك للموافقة على صحبتها ورفقتها، وهكذا حال كل من يتصرف وفق غريزة القطيع، حين تسمح فيها للآخرين أن يتحكموا بحياتك وفعل ما يفعلون. معظم الناس يرضون بهذه «البرمجة» ويتقبّلونها لأنها تعفيهم من التفكير بشكل فردي، وهنا ثمة مفارقة بين أن تتوافق مع غالبية الناس لأمر ما.. وتساؤلك عما تفعله الغالبية والقيام بأمر مختلف، أنت أمام خيارين إمّا البقاء داخل «منظومة عمل مفروضة» وإما ترك هذه المنظومة والذهاب نحو «حياة» أخرى. أين تريد أن تكون بين هاتين الصورتين؟ قد يغريك أن تكون ضمن الغالبية العظمى وهذا ما يسمى - سيكولوجياً - بالطمأنة، حيث تشعر براحة أكثر عندما

توافق جماعة بدلاً من أن تفكر بشيء مختلف وتفعل أشياء بمفردك بعيداً عن الجماعة، لكن في الاتباع والموافقة أحياناً محاذير ومخاطر قد تأتي بنتائج عكسية.. لذا على كل من يريد التميز والنجاح أن يعرف أوقات الانسجام ومغزى المطابقة؟ إذا تولّيت أمر نفسك كإنسان مفكر ونشيط تدرك ـ وخلافاً لما هو شائع أن هناك اتجاهات أخرى تُغنيك عن الذهاب مع القطيع ـ أن أمور الحياة كلها ليست هامة لسبب بسيط وهو أن المجتمع والتربية وأصحاب المصالح غسلوا أدمغتنا بأهميتها ليجعلونا نؤمن بها لأهميتها، بينما لو توقّفنا قليلاً وأمعنّا النظر بها لوجدنا أن لا علاقة لها البتة بالأمور المهمة.. وبالمثل بالنسبة لك إذا ركزت انتباهك على ما يفعله عامة الناس أدركت أن تقليدهم لما يفعلون ليس الوسيلة الناجعة لترك بصمتك في هذا العالم.

المثال

أنهت دراستها الجامعية بكل اعتزاز، وها هي تتقدم نحو مستقبلها بكل أحلام وردية، فهي ابنة عائلة ثرية، فوالدها يعمل في مجال التجارة بالمجوهرات وقد يؤمن لها عملاً مهماً باتصالاته مع شخصيات مرموقة في المجتمع، وتعيش حالة حب صافية منذ أيام الجامعة مع زميل في الدراسة.. ولكن جاءتها الأيام بما لم تكن تتوقع، توفي الوالد بحادث قتل أثناء محاولة استيلاء على محله، وساءت أحوال الأسرة المادية وانفرط عقد حبها مع ذاك الزميل،لأن

أعمامها أرادوا لها أن تتزوج شخصاً آخر أكثر غنى وثروة.. مما قد يعينهم على سوء حالهم.. تمنّعت ورفضت لكن الأعمام أصرّوا بالإقناع تارة وبالوعيد تارة أخرى.. لتجد نفسها «ضحية» موقف جماعي مُورس عليها دون أن يكون لها حيلة في تقريره، فأحسّت كأنها «نعجة في قطيع» تسير وتُقاد إلى حيث يراد لها.. تزوجت مَنْ قرره الأعمام وظن الجميع أن السعادة ستكون من جراء هذه «الزيجة». سافرت وزوجها بعد أيام الفرح السريعة وهناك بدأت تظهر مساوئ العلاقة حيث أخذ يحد من حياتها الاجتماعية، يمنع خروجها، يقطع علاقاتها مع أخريات، وشدد عليها القيام بأي عمل إلا بعد استئذانه، وزاد الأمر حدةً تدخّل أم الشاب بحياتها الخاصة، فهي (أي الحماة) من النوع المتسلط الذي يعتقد بأن ما يقوم ويفكر به هو الأصح.. بعد أشهر صعبة أخذت الأمور تزداد سوءاً على صاحبة الحالة كان بنتيجته، انفصال وعودة إلى الوطن خالية الوفاض حتى من طفلتها التي احتفظ بها الأب.. عادت والقهر يملأها، فهي لا تزال في الخامسة والعشرين من العمر: ماذا جنت على نفسها من عادات مجتمع أخضعها لإرادته بدل أن تقرر هي بإرادتها ما تريد.. سُلب قرارها حتى خسرت كيانها وحياتها.

يتمتع الآخرون بالقوة لأننا نحن من نعطيهم إياها بتخاذلنا، وربما هذا ما يحصل مع صاحبة الحالة التي سلمت نفسها كنعجة كما

تقول، سلبوا إرادتها فأصبحت منقادة، لكن حتى يغدو الوضع غير ما هو عليه جدير بها أن تقلب الآية بأن تعطي القوة لنفسها بدلاً من أن تعطيها للآخرين..

الملخص:

لئن تكون ما أنت عليه حقاً يتطلب منك أن تعرف ما هو المهم لك، لك أنت بالذات.. عليك أن تتأكد أن خياراتك بالحياة هي ملكك. وأن تعيش كما أنت دوماً وليس كأي شخص آخر، وحتى لا تكون كأي شخص آخر مفترض يعني أنك تخوض أشرس معركة للشخص الذي تود أن تكونه.

المرادف:

- عندما ينكر الجميع بالطريقة ذاتها فهذا يعني أن لا أحد يفكر.

(والتر ليبمان)

- ليكن هدفك دائماً أن تحقق ما تحلم به، أما النجاح فانس أمره.

(هيلين هايز)

- احرص على الحصول على ما تحب لئلا تكون مجبراً على أن تحب ما تكره.

(جورج برنارد شو)